

انعكاسات الانتخابات الرئاسية على الانتخابات التشريعية والبلدية القادمة

بقلم: عماد موسى

لاشك أنه سيكون للانتخابات الرئاسية انعكاسات منظورة وأخرى غير منظورة على الحقل الانتخابية البلدية والتشريعية والنقابية في المستقبل، ولعل أول هذه الانعكاسات سيظهر على حركة فتح الحزب الحاكم والتي تعاني منذ فترة طويلة من الضمور والانفلاش بسبب تآكل البنى التنظيمية لعدم وضوح المرجعية التنظيمية ولعدم وضوح الرؤية السياسية التي تتجاذبها مراكز القوى بين مشروع المقاومة ومشروع السلام، وعودة العمل على أسس جهوية ومنطقية والتي تؤسس لغبة النزعة العشيرية بوصفها المرجعية البديلة للحزب الذي لم يتجدد وسيؤثر ذلك على مجمل العلاقات الاجتماعية والسياسية داخل مجتمعنا وداخل أحزابنا .

نهوض النزعة العشيرية

تشهد النزعة العشيرية نهوضاً غير معهوداً في الحياة السياسية والاجتماعية الفلسطينية بعد أن نجحت العشائر في عشرينية الأحزاب بدلا من أن تقوم الأحزاب بحزبية العشائر فعاد الولاء والانتماء الفردي والجمعي للعشيرة بدلا من الدولة. ما يمنح العشيرة نفوذا وسيطرة عبر الحضور التمثلي داخل المؤسسة التشريعية والتي سيتم تأثيرها ليصل إلى المؤسسة التنفيذية، وهذا سيكون على حساب الحضور السياسي والتنظيمي للأحزاب السياسية الأمر الذي سيعكس بوضوح النظام الانتخابي المختلط حيث سيبقي على نظام الدوائر والتي تعني ببساطة المحافظة على التركيبة العشيرية والقبلية. ناهيك عن أن اختيار ممثلي الأحزاب سيخضع لحسابات عشيرية ومنطقية وجهوية وليس لاعتبارات سياسية. وقد تجلت الوقفة العشيرية في الانتخابات الرئاسية إذ شرع الوجهاء وممثلو العشائر في تقديم تعهداتهم لدعم هذا المرشح أو ذاك، وكذلك الجمهور المنتمي إلى هذه الثقافة الذي شكل حالة من الاصطفافات على أسس جهوية ومنطقية لدعم المرشحين.

الانعكاسات الاجتماعية

أحدثت الانتخابات الرئاسية والبلدية تفسحا في النسيج الاجتماعي الفلسطيني والذي سيؤثر على مجمل العلاقات الداخلية والسياسية في الحاضر والمستقبل، والذي سيؤثر على برامج التنمية وأشكالها ونوعيتها في ظل هذا الفضاء الاجتماعي المعشرون وإحساس العائلات الصغيرة بالغبن والاضطهاد والإحساس بالظلم. ما يعني العودة إلى الصيغ الاجتماعية الموروثة في صيغها الضيقة والتمترس خلف القبيلة بوصفها الإطار الاجتماعي والسياسي الذي يوفر الحماية للفرد بدلا من دولة القانون ما يعني الرجوع إلى العرف القبلي أو القضاء الموازي في فض النزاعات بدلا من العودة إلى السلطة القضائية. إن تعزيز العرف العشائري سيكون على حساب القانون وسيادته ما يساعد على تكريس السلطة بيد العائلات ومراكز القوى الاجتماعية.

والعودة إلى بناء التحالفات والعلاقات على أساس نقاط القوة للعشيرة ومدى قدرتها على التأثير على إيقاع الحياة الاجتماعية والسياسية، وهذا يعني الافتقار للتجانس الاجتماعي بسبب تصاعد الحس المنطقي والعشيري وبداية لانهاية الطبقة الوسطى ومقدمة لبروز طبقة اجتماعية جديدة ذات نفوذ اقتصادي قوي ومؤثر وفعال في الحياة العامة مستفيدة من الواقع المضاد للقيم الاجتماعية الحديثة المتأسسة على حقوق الإنسان والديمقراطية والوطنية، وقد صعدت الانتخابات الرئاسية من بروز ظاهرة الترفيف أثناء الحملات الدعائية للمرشحين والتي قوبلت بظاهرة التمدين و التخميم من أجل أن يسجل كل طرف قوته الفعلية، فالريف يحس بالتهميش وبمصادرة المدينة لحقوقه السياسية، والمدينة تريد المحافظة على مصادر قوتها وأنها الأساس لعمليات التجاذب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وأما المخيم يرغب في تقديم نفسه من خلال صور مختلفة حيث لديه الإحساس بالعانة من ثقافة الرفض والإقصاء من المدينة والريف وهكذا أخذ المجتمع الفلسطيني في إعادة صياغة نماذجه الاجتماعية من جديد وعلى أسس قديمة جديدة ما يعني فشل العمل الحزبي والسياسي طوال السنوات الماضية وأنها كانت تعيش في قلب النظريات ومقتصرة على النخب في صالونات السياسة والفكر والأدب.

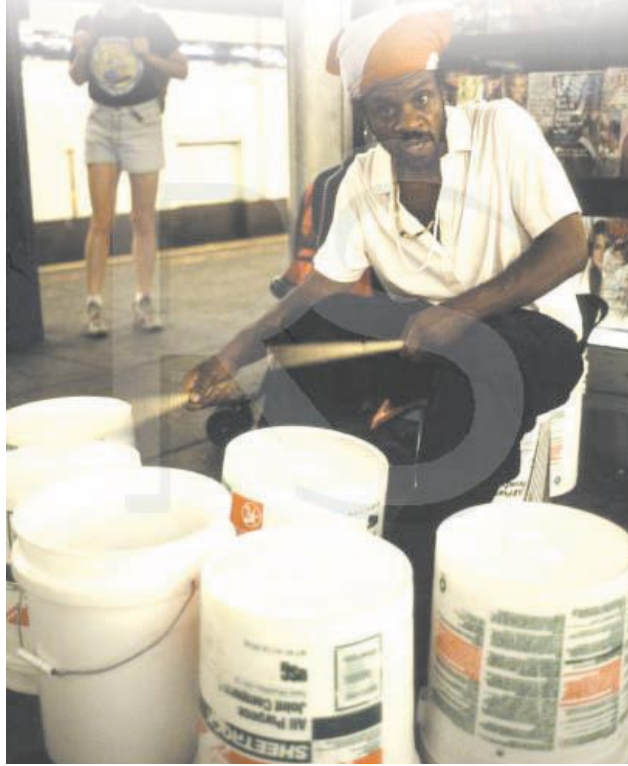
تراجع مفهوم المواطنة

أمام مفهوم الانتماء والولاء الفردي للعشيرة التي توفر له الدعم والإسناد، وعبر قدرة العشيرة على عشرة الديمقراطية الفلسطينية، إذ توظف القبيلة النظام الديمقراطي الانتخابي لصالحها، ما يعني غياب التحشيد والتجنيد للناخبين على أسس سياسية أو غيرها واختزالها بالولاء القبلي الذي يصحح البرنامج السياسي غلافا للبيضاء القبيلة، فالواقع الاجتماعي الجديد سينعكس على مؤسسات المجتمع المدني والتي قد لا تصمد طويلا في وجه العشره نه انسجاما مع التغيرات السياسية والاجتماعية والانتخابية وكمحصلة طبيعية لنتائج الانتخابات الرئاسية البلدية والتشريعية. خصوصا أن المواطن يلاحظ بقوة كيف تمت عشرة الأجهزة الأمنية وجهونتها وكذلك الوزارات.

وهذا يطرح أسئلة محرجة حول مفهوم المواطنة في الديمقراطية العشيرية التي حظيت بالمدح والثناء الدولي وكيف سيكون شكل العلاقة بين المواطن والدولة.

فلسطين- نيويورك؛ مشاهد ذات دلالة انتخابية

كتب عبد الباسط خلف



بالانتقال سريعا لكان ثان يجلس شاب أسود البشرة، يتخذ من دلاء متواضعة طبولا، فيحدث حركة فئائية لا تملاً كثيراً فراغات منهاتن الصغيرة،

بخلاء مقعده، فترقب لئرى انه يخصص المكان لامرأة معاقة صعقت بعربيتها الى الحافلة. تحتاج عملية إجلال المرأة الكثير من الدقائق في عملية احترام لإنسانية الإنسان، وتتمنى أن نجد في بلدنا حافلة تضع في حسابها أصحاب الاحتياجات الخاصة، ونتمنى أن نجد مرشحا واحداً في بيتنا الكبير يذكر هؤلاء ولو شعاراً. قريبا من شارع رقم ٢ نعرف على متطوعين صينيين يجهدون في إحياء تراث بلدهم والعودة الى جذورهم، فيوزعون النشرات ويطلقون العنان لمبادئهم؛ الصادقية والشفقة والتسامح وفضح النظام وجوره وسياسته القمعية، ولا يكاد الملل يعرف كلمة المرور الى أجسادهم النحيلة. في الشارع ذاته ننظر إلى الجانب الأيسر المزدهم بالناس والساعين إلى الحياة، وما أن نبذل زاوية نظرنا إلا ونجد شاشة ضخمة تنقل أخبارا سريعة قادمة من العراق تتحدث عن تناقضات الحياة، تقول في أعماقك هنا تنتج أساليب الحياة وهناك تسرع ثقافة الموت بنشر قواتها. في أحياء المدينة يرتفع منسوب تواجد المحال التجارية الفاخرة للخصصة لترويج أطعمة الثعالب والكلاب والقطط، مثلما تعلقو كثافة مصطحبي الكلاب ومعظمهم من السيدات.

فتور

نجدد قليلا عامل الفندق قبل يوم من سباق الرئاسة، فيخبرنا بأن المال أهم من صناديق الاقتراع، يصل بنا في النهاية لحقيقة أن الفرق بين الأحزاب الحاكمة الكبيرة في الولايات العظيمة وسواها لا يعدو مجرد فرق بين الكوكاكولا والبيبسي... هنا لا نلاحظ وجودا للغبار، على العكس من بلدنا المنهك، وفي جانب حاويات القمامة تسيطر دعايات تجارية وتثقيفية، ويمارسون الحب بسرعة ويتناسون السياسة. كل شيء في منهاتن وبروكلين وكوينز وسواها مكشوف، حتى المصارف لا تمارس السرية في عملها وكذا صالونات التجميل وعلب الليل، بخلاف سريتنا. حتى في الشوارع المهولة للولايات القريبة من نيويورك كنيوجرسي يتحتم على السائق الذي يستخدم الشارع دفع بدل مرور والحجة هنا استعمال العابر والجسور وتمويل نفقات إصلاحها. فوق نهر هنري هاستون يستلقي أكبر جسر في العالم ويمتد جسر واشنطن للميل ونصف الميل نتحدث على شرفات الجسر عن العابر المحملة في بلدنا وخرائط الطرق المصنوعة في هذا البلد. داخل نفق هنري هاستون الذي يطول لزهاء خمسة كيلو مترات تحت الماء نطلق العنان للحديث عن العمر الآمن الذي عفا عليه الدهر بين شطري وطننا، ومنتقل لصديقنا المهجري جيمس الذي يستغرب صعوبة تنقلنا بين الشمال والجنوب.

في الأمم المتحدة!

داخل حرم الأمم المتحدة يحكم مصممون على مسدس ضخم بالإعدام، فيربطون مقدمة أنبوبه كدليل على نزع فتيل النيران والكراهية، والأمل بسلام فاخر بين شعوب الأرض، ويتحدثون عن انتخابات وديمقراطية واحترام كمنادج أفغانستان والعراق وفلسطين. على جدران المبنى الرئيس للجمعية العامة تتموضع حفنة من اللوحات الفنية تشير لنساء وأطفال وضحايا الغام أرضية وتخصص ردهات واسعة لهدايا الشعوب والحكومات من بين ١٩١ دولة هي التي تشكل طيف الأمم في أصقاع الأرض. يفورى أو عاج القيلة هدية رائعة جادت بها الصين لكن ريتا جون ناشطة البيئة تقول لبيتهم رفضوا استقبالها وانتصروا للفيلة. قبالة مبنى الأمم المتحدة تظاهر قبل أيام من الانتخابات حفنة من المعارضين للحرب جاءوا يسمعون العالم صوتهم، مثلما تؤكد اللوحة العملاقة الإلكترونية رقم تكلفة الحرب وهو أربع وعشرين ساعة من الصراع الديمقراطي؛ ١٤٢٨٢٢٧٥ دولار والرقم يتصاعد لحظة إثر لحظة.

أمضى الشاب الأريبعيني جون ريكارد نهاره يوم الانتخابات الأمريكية في الثالث من تشرين الثاني الماضي في اعتيادته، ولم يغير برامجه بالرة، فهو ينفق جل وقته في البحث عن زبائن جدد يقنعهم بتجريب سلع حديثة الصنع عبر ارتدائه مجسماً للمنتوج. تسأل جون في شارع «٢٩ برودي» عن الانتخابات في أقوى بلد في العالم، لكن فتوره بمنحك مؤشراً على أن الأمريكيين بنسبة كبيرة منهم لا مارسون حقهم الديمقراطي. تدون مقتطفات من حوارك مع جون وسواه وتتعرف إلى أجواء وتفاصيل العملية الديمقراطية. هنا لا برامج انتخابية تملأ الأرض والجدران ولا مقاولين يسعون لإقناع الناس بالانتخابات ويستميلون قلوبهم لصالح زيد أو عمرو من المنافسين.

جدران بيضاء

الجدران هنا بيضاء، والمطابع ووكلاء الدعاية لم ينشغلوا في إصدار ملصقات ومواد انتخابية تمهيداً لنشرها وصيغ جدران المدينة بالوانها. نعود إلى بلدنا، فتفتحنا قبل أن نصل هدفنا دعايات انتخابية عشوائية لبلدية أريحا، متنافسون ينشرون صورهم ويضعون برامج انتخابية، وآخرون ينهمكون في البحث عن سبل البحث عن أنصار، تنحاز بدورك للبيئة وتجري مقارنة بين عالين. هنا نشط في الترويج لبرامجنا الانتخابية، وننشغل كثيراً في البحث عن مصوتين ومنتافس و نتصار على الجدران والميادين، ويسرع صبيتنا لتمزيق بعض الملصقات، مثلما يجد آخرون فرصة للربح والعمل والمقاولات الصغيرة. مر الثالث من تشرين الثاني بهدوء ولم نشعر باننا في الدولة التي تحاول السيطرة على العالم، فجمعيات العرب الأمريكيين الأهلية، لم تستهلك نفسها في الإعداد ليوم الانتخابات، ولم تصبغ أيدي الساعين بحبر طويل الأمد، فكل الذين يذهبون إلى التصويت يشاهدون موظفين احتلت وجهيهما التعاطيد، ويجرون عملية تاكد من إلقاء من يدخل القاعة من تصويته، ويخبرونه في النهاية بالرقم الذي يشكله في قائمة الناخبين.

فلسطينيو نيويورك

وحيد حرارة وكمثال على الفلسطينيين الأمريكيين لم يعمد للذهاب إلى صناديق الاقتراع فعلى الأرض الكثير من المهوم التي ينشغل بها هو وغيره، فالسياسة والرئيس لا تشكلان أهمية كبيرة لمجتمع رأسمالي لا يفكر إلا بالعمل والدولارات الخضراء وكرة القدم الأمريكية للمحترفين والهواة. أسعد، فلسطيني آخر كان عضواً في جمعية أهلية محلية تسعى لتأسيس مجتمع مدني في غزة، لكنه هنا لم يفكر في شيء مماثل، فالجالية العربية تنشغل بما يعينها، ولا تجد متسعاً من الوقت للحديث عن تشكيل قوة انتخابية ذات هدف أو نزعة سياسية. تمنى أسعد لو كان موجوداً في وطنه، لمارس الديمقراطية وروج لها، وحاول مشاهدة تمار كان يحلم بها، لكن داسته وعمله تملك رأياً مغايراً. يقول أسعد: «بسرعة البرق حلت بوطننا الفلسطيني أحداث دراماتيكية أعقبت رحيل الرئيس ياسر عرفات»، ويواصل: «كنا وقتها نعيش ونمر في شوارع نيويورك ونقرأ أخبار عاجلة ساخنة وباردة تمزج بين صحة الرئيس عرفات ونفي إصابته باللويميا وبالتالي وفاته وغيبوبته أيضاً الترويج لاختيار جورج دبليو بوش رئيساً للولايات المتحدة وكذلك «الديمقراطية كاعتقاد أفضل» من نموذج الحرب». على جنبات «التايم سكوير» يتموضع قادمون من جنوب شرق آسيا لبيع مهاراتهم، فيجهدون في رسم الأزواج والأصدقاء من المارة ويقراء آخرون الكف على طرائقهم، وتنهك طائفة ثالثة في السحر والشعوذة، تقول إحداهن: نقطع المحيط بحثاً عن الخبز، ولا نحبذ المشاركة السياسية التي لم يسمح لنا بممارستها بحرية في بلدنا.

إحباط

بالانتقال سريعا لكان ثان يجلس شاب أسود البشرة، يتخذ من دلاء متواضعة طبولا، فيحدث حركة غنائية لا تملاً كثيراً فراغات منهاتن الصغيرة، ويقر بأنه لم يزر مركزه الانتخابي. يشبه حال هذا الشاب حال محمد سمير في جنين والذي يناضل وراء عربة تعج بخضار وفواكه تبحث عن زبائن، والذي يقول: «لمشاركة في الانتخابات لها أصحابها، فنحن نعيش في الظل ولا أحد يتذكرنا إلا في يوم الحاجة إلينا وسرعان ما يتذكرون لنا». وسمير كواحد من الذين توجهوا لانتخابات المجلس التشريعي في العام ١٩٩٦، تعرض للإطاحة به من قبل من صوت له، فحينما أحتاج، وقمما يقول، لخدمة علاج ملحة تنكروا له. توقف حركات الشاب الموسيقية القليل من المارة ويفضل آخرون الفرار بعيدا كي لا يتورطوا في دفع مبالغ مالية، وإن قلت، ثمنا للإعجاب. ولا يحظ سمير بزبائن، لكن بعض الصبية أمطروه بأوراق ودعايات وبرامج انتخابية تكفي لإطعام جبايع المدينة كما يقول. على قارعة الطريق الأمريكية يتخذ الشاب المصري أشرف العفيفي القادم للولايات المتحدة منذ حفنة من السنوات، يجهز على عربته النقالة موائد الشواء وتختلط روائح لحوم البقر والحبيش بغناء كوكب الشرق، لم يصوت أشرف ولم يفكر بالانخراط في الحياة السياسية. بعيدا عن أشرف يجلس مصطفى حسن المغربي، فيتعرف علينا ويشرح لنا طريقته الخاصة في تجهيز الباربيكيو، يتحدث إلينا و يرحب بنا، ويطلق لنا دعوة مجانية للانضمام إليه في «عشاء قومي» لكنه هو الآخر تمرد على صناديق الاقتراع. بروج آخرون لأجهزة كشف الكذب، فيضعون يافطات تخبر المارة بمجانبة الفحص في محاولة لإغراء الزبائن. تخاطب ذاتك أيهما أكثر حاجة لأجهزة من مثل هذا الطراز؟ يعلق مصطفى: هذه الأجهزة التي يبيعها جاري، نحتاج إليها كثيراً في وطننا الأصلي وبخاصة مع المرشحين الذين يتذكرونا في يوم الانتخابات فقط.

برامج غائبة

الحافلة العامة تتوقف فجأة ويسرع سائقها لئني مقعدها الخلفي، يأمر أحد رفاقنا